@ 380 @ عليه الصلاة والسلام ، رجع إلى حال الإنسان السابق ذكره المنكر البعث ، وأن همه إنما هو في تحصيل حطام الدنيا الفاني لا في تحصيل ثواب الآخرة ، إذ هو منكر لذلك . وقرأ الجمهور : { بَلْ تُحِبّٰونَ الْعَاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ } بتاء الخطاب ، لكفار قريش المنكرين البعث ، و { كَلاّٰ } : رد عليهم وعلى أقوالهم ، أي ليس كما زعمتم ، وإنما أنتم قوم غلبت عليكم محبة شهوات الدنيا حتى تتركون معه الآخرة والنظر في أمرها . وقال الزمخشري : { كَلاّٰ } ردع ، وذكر في كتابه ما يوقف عليه فيه . وقرأ مجاهد والحسن وقتادة والجحدري وابن كثير وأبو عمرو : بياء الغيبة فيهما . .

ولما وبخهم بحب العاجلة وترك الاهتمام بالآخرة ، تخلص إلى شيء من أحوال الآخرة فقال : { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نّٰاضِرَةٌ } ، وعبر بالوجه عن الجملة . وقرأ الجمهور : { نّٰاضِرَةٌ } بألف ، وزيد بن علي : نضرة بغير ألف . وقرأ ابن عطية : { وُجُوهِ } رفع بالابتداء ، وابتدأ بالنكرة لأنها تخصصت بقوله : { يَوْمَئِذٍ } و { نّٰاضِرَةٌ } خبر { وُجُوهِ } . وقوله : { إِلَىٰ رَبّٰهَا نَاظِرَةٌ } جملة هي في موضع خبر بعد خبر . انتهى . وليس { يَوْمَئِذٍ } تخصيصاً للنكرة ، فيسوغ الابتداء بها ، لأن ظرف الزمان لا يكون صفة للجثة ، إنما يكون { يَوْمَئِذٍ } معمول لناضرة . وسوغ جواز الابتداء بالنكرة كون الموضع موضع تفصيل ، و { نّٰاضِرَةٌ } الخبر ، و { نّٰاضِرَةٌ } صفة . وقيل : { نّٰاضِرَةٌ } نعت لوجوه ، و { إِلَىٰ رَبّٰهَا نَاظِرَةٌ } الخبر ، وهو قول سائغ .

ومسألة النظر ورؤية ا تعالى مذكورة في أصول الدين ودلائل الفريقين ، أهل السنة وأهل الاعتزال ، فلا نطيل بذكر ذلك هنا . ولما كان الزمخشري من المعتزلة ، ومذهبه أن تقديم المفعول يدل على الاختصاص ، قال هنا : ومعلوم أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر في محشر يجمع ا فيه الخلائق ، فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظوراً إليه محال ، فوجب حمله على معنى لا يصح معه الاختصاص ، والذي يصح معه أن يكون من قول الناس : أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي ، يريد معنى التوقع والرجاء ، ومنه قول القائل : % (وإذا نظرت إليك من ملك % .

والبحر دونك زدتني نعماء .

. %)

.

وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس أبوابهم ويأوون مقائلهم تقول :

عيينتي ناظرة إلى ا وإليكم ، والمعنى : أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم ، كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلا إياه . انتهى . وقال ابن عطية : ذهبوا ، يعني المعتزلة ، إلى أن المعنى إلى رحمة ربها ناظرة ، أو إلى ثوابه أو ملكه ، فقدروا مضافاً محذوفاً ، وهذا وجه سائغ في العربية . كما تقول : فلان ناظر إليك في كذا : أي إلى صنعك في كذا . انتهى . والظاهر أن إلى في قوله : { إِلَى رَبّهَا } حرف جر يتعلق بناظرة . وقال بعض المعتزلة : إلى هنا واحد الآلاء ، وهي النعم ، وهي مفعول به معمول لناظرة بمعنى منتظرة . { وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ } : يجوز أن يكون { وُجُوهِ } مبتدأ خبره { بَاسِرَةٌ } وتظن خبر بعد خبر وأن تكون باسرة صفة وتظن الخبر . والفاقرة قال ابن المسيب قاصمة الظهر ، وتظن بمعنى توقن أو يغلب على اعتقادها وتتوقع { أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ } : فعل هو في شدة داهية تقصم . وقال أبو عبيدة : فاقرة من فقرت البعير إذا وسمت أنفه بالنار . { كَلاّ } : ردع عن إيثار الدنيا على الآخرة وتذكير لهم بما يؤولون إليه من الموت الذي تنقطع العاجلة عنده وينتقل منها إلى الآجلة ، والضمير في { بَلَغَتِ } عائد إلى النفس الدال عليها سياق الكلام ، كقول حاتم : % (لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى % .

إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر .

.

. %)

وتقول العرب : أرسلت ، يريدون جاء المطر ، ولا نكاد نسمعهم يقولون السماء . وذكرهم تعالى بصعوبة الموت ، وهو أول مراحل الآخرة حين تبلغ الروح التراقي ودنا زهوقها . وقيل : مبني للمفعول ، فاحتمل أن يكون القائل حاضروا المريض طلبوا له من يرقي ويطب ويشفي ، وغير ذلك مما يتمناه له أهله ، قاله ابن عباس والضحاك وأبو قلابة وقتادة ، وهو استفهام